آثار الإسرائيليات في كتب التفسير
ومسئولية المفسرين عنها

بحث مستل من رسالة ماجستير بعنوان :

الاسرائيليات المنسوبة للصحابة في كتب التفسير وآثارها العلمية جمعا ودراسة

إعداد الدارس

نادي سعيد نادي أحمد

طالب ماجستير بقسم الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

تحت إشراف

د.إسلام عبد العزيز الشافعي

أستاذ مساعد بقسم الشريعة الإسلامية

بكلية دار العلوم / جامعة الفيوم

(مشرفا رئيسا)

د.حمادة محمد محمد سالمان

أستاذمساعد بقسم الفلسفة الإسلامية

بكلية دار العلوم / جامعة الفيوم

(مشرفا مشاركا)

الملخص:

يسعى هذا البحث نحو إلقاء الضوء على موضوع آثـــار الإســـرائيليات في كتـــب التفسير ومسئولية المفسرين عنها، لا يشترط في الإسرائيليات أن تكون كلها يهودية الأصل أو مسيحية الأصل، بل من الممكن أن يلحق بها ما هو عربي أيضـــا، مثـــل: حال بعض القصاصين الذين تأثروا بطريقة أهل الكتاب فرووا قصصا ليس مصدرها أهل الكتاب، لكن لا تخرج بمعانيها من مادة الإسرائيليات، بل ربما وضعوا بعضـــها وضعا.

ومن ثم؛ فإن النهج الذي سأسير عليه في بحثي هذا هو أخذ هذا اللفـــظ بمفهومـــه الواسع، بحيث يشمل كل دخيل على التفسير، وبخاصة ما فيه مبالغة ودَسٌّ وتكذب وتخويف ولو كان مرويا عن غير بني إسرائيل.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة ومطلبين، تناولت في المقدمة تعريـــف مصـــطلح الإسرائيليات لغة واصطلاحًا، وتعقيب الباحث على التعريف، وعالج المطلب الأول آثار الإسرائيليات في كتب التفسير، في حين اهتم المطلب الثاني ببيـــان مســـئولية المفسرين عن رواية الإسرائيليات في كتبهم، وأعقبت ذلك بالخاتمة وقائمة المراجع.

الكلمات المفتاحية: قرآن كريم، تفسير، مفسرون، إسرائيليات

Summary:

This research seeks to shed light on the issue of the effects of the Israelites in the books of interpretation and the responsibility of the interpreters for them, it is not required in the Israelites that all of them are of Jewish origin or Christian origin, but it is possible that something that is also Arab may catch up with them, such as: the case of some of the storytellers who were influenced by the way of the people of the book, they told stories that do not come from

the people of the book, but do not take their meanings out of the material of the Israelites, and may even put some of them in a situation.

Therefore, the approach that I will follow in this research is to take this term in its broad sense, so that it includes every outsider to the interpretation, especially what is exaggerated, insinuating, lying and intimidating, even if it is narrated about non-Israelites.

The first requirement dealt with the effects of the Israelis in the books of interpretation, while the second requirement was concerned with the statement of the interpreters ' responsibility for the narration of the Israelis in their books, followed by a conclusion and a list of references

Keywords: Holy Quran, Tafsir, interpreters, Israelites.

مقدمة:

بالبحث في المعاجم اللغوية القديمة؛ تبين أنه لا يوجد تعريف لغوي للكلمة، وإنما تناولها أصحاب المعاجم اللغوية الحديثة، فيذكرون أن: لفظ (الاسرائيليات)، جمع، مفرده: إسرائيلية، وهي في اللغة: الأخبار المنقولة عن اليهود في كتب التَّفسير والتَّاريخ وغيرهما[١]، والنسبة فيها إلى إسرائيل. وهو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر[٢].

والدليل على ذلك: ما روي عن عبد الله بن عباس قال: "حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقال لهم: هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟ قالوا: اللهم نعم، فقال ﷺ: اللهم فاشهد"[٣].

وقد "أكثر الله من خطابهم ببني إسرائيل[٤] في القرآن الكريم؛ تذكيرا لهم بأبوة هذا النبي الصالح؛ حتى يتأسوا به ويتخلقوا بأخلاقه، ويتركوا ما كانوا عليه من نكران

نعم الله عليهم وعلى آبائهم وما كانوا يتصفون به من الجحود والغدر واللؤم والخيانة"[٥].

وذلك كقوله تعالى: { يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠]، وقوله تعالى: { يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [طه: ٨٠].

و(إسرائيل) لفظ عبري معرب، استعملته العرب على أوجه في النطق، فقالوا: (إسرائيل، وإسرال، وإسرائل، وإسرائين، وإسرائيل)، وقد صارت هذه الأوجه قراءات قرانية عند علماء القراءات[٦].

وقال علماء اللغة في معناه: (إسرائيل) كلمة عبرانية مركبة من (إسرى) بمعنى: عبد أو صفوة. و(إيل) وهو الله، فيكون معنى الكلمة: عبد الله وصفوته من خلقه[٧].

فعن ابن عباس قال: إن إسرائيل كقولك عبد الله[٨].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠] قال: " وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع الله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم افعل كذا، يا ابن الشجاع بارز الأبطال، يا ابن العلم اطلب العلم، ونحو ذلك"[٩].

قال الأخفش: " هو يهمز ولا يهمز، ويقال: إسرائين بالنون أيضا"[١٠].

ويذكر الكتاب المقدس قصة خرافية خبيثة – أذكرها هنا لبيان اعتقاد اليهود في سبب تسميتهم بإسرائيل – فقد جاء في (سفر التكوين) ما نصه: " وصارعه (يعني: الرب) إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه طلع الفجر فقال: لا أطلقك إن لم

تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وغلبت"[١١].

قال الدكتور (جورج بوست): " إسرائيل لقب يعقوب، وهي تفيد معنى: الأمير المجاهد مع الله؛ ثم اطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال العشرة أسباط عن بيت داود"[١٢].

أيُّ إله لليهود هذا وهو عاجز ضعيف جاهل متناقض ثم يباركهم؟! اللهم هذا بهتان عظيم. فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

الإسرائيليات: المفهوم الاصطلاحي.

بالبحث في كلام المتقدمين؛ نجد أنهم لم يضعوا تعريفا محددا لمصطلح (الاسرائيليات)، تعرف به كعلم التفسير أو علم أصول الفقه، أو علم اللغة... إلخ. ولكن ذلك لا يدل على غياب مفهومها عندهم، بل إن معرفة ما تعنيه كلمة (إسرائيليات) لم يكن غائبا عن كتاباتهم إذا كتبوا عما يدور حولها.

فهذا هو التابعي وهب بن منبه (ت١١٤هـ) يصنف كتابا ويسميه (الإسرائيليات)[١٣] ولا شك أنه جمع بين دفتيه روايات عن بني إسرائيل.

يؤيد ذلك ما حكاه عنه الذهبي (ت ٨٤٧هـ) أنه كثير النقل من الإسرائيليات[١٤].

وهذا أبو بكر بن العربي (٣٤٥هـ) يقول عنها: "والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا"[١٥].

فإذا ما وصلنا إلى ابن تيمية (ت ٨٢٧هـ) وجدناه يتحدث عن الإسرائيليات حديث المدرك معناها وأقسامها ولذلك فهي عنده: الأحاديث أو المنقولات عن أهل الكتاب[١٦].

وبهذا المعنى تحدث عنها من أتى بعده كالذهبي (ت ٧٤٨هـ) وابن كثير (٧٧٤هـ)، والطوفي، وغيرهم[١٧].

وقد عرَّف العلماء المحدَثون مصطلح (الإسرائيليات) بتعريفات متعددة[١٨]، أبرزها ما يأتي:

عُرِّفت الإسرائيليات بأنها: القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الاسلامي، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الاسلام أو تظاهرهم بالدخول فيه[١٩].

كما عُرِّفت بأنها: معلومات أهل الكتاب التي فسرت بها نصوص قرآنية أو حديثية[٢٠].

ويرى الباحث: أن هذا التعريف ليس جامعاً؛ لأنه ليس شرطا أن تكون الإسرائيليات تفسيرا لنصوص قرآنية أو حديثية، بل ربما تكون مجرد أخبار وقصص لا علاقة لها بنص منهما، ثم أن كونها مفسرة للنصوص فهذا كلام – بحد ذاته– فيه نظر شديد.

وقيل: كلمة يهودية الأصل، وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية إلى الاسلام وما نقل عن الأديان الأخرى إليه أيضا.. ولكنها خصت بهذا الاسم لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه أولئك الإسرائيليون[٢١].

وعليه؛ يتبين أن لفظ الاسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الاسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب

اليهودي هو الذي اشتهر أمره، فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهليه وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجا(٢٢).

ومن ثم؛ فإن الذي أراه أن نعرف الإسرائيليات بأنها: أخبار أو حوادث نقلت إلينا عن طريق أهل الكتاب، مع مراعاة معرفة أن نسبتها إلى المعرف على سبيل التغليب والله اعلم.

ويلاحظ: أن هذه التعريفات التي ذكرها المحدَثون لمصطلح الإسرائيليات متقاربة المعنى؛ وإنما تفاوتت من حيث الشمول وعدمه.

ولعل هذا الاصطلاح الذي صاغه علماؤنا المعاصرون للإسرائيليات – عن أصول تحدث بها علماؤنا الأقدمون – أرجح وأصوب مما ذهب إليه المستشرق (فان فلوتن) الذي يعرفها بقوله: " يطلق علماء المسلمين كلمة إسرائيليات على جميع العقائد غير الإسلامية ولاسيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري"(٢٣).

فهذا التعريف يمكن نقده من وجوه:

١- يبرز هذا التعريف ما يسميه بالعقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي، ويجعل ذلك محورا أساسيا في التعريف. وفي هذا طعن في العقائد الإسلامية ذاتها؛ إذ إن التسليم بهذا التعريف وقبوله واتخاذه أساسا يمكن الاعتماد عليه؛ يعني: التسليم بتشويه العقيدة الإسلامية الصافية منذ عصر النبي ﷺ وصحابته والتابعين!!

والحقيقة على غير ذلك، فعقائد الإسلام تقوم على الوحدانية الخالصة الصافية التي لم ينلها شيء مما في عقائد اليهود والنصارى من شرك بالله، يتمثل في ادعاء اليهود أن عزيرا ابن الله، وقول النصارى إن المسيح ابن الله. تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

٢- إن أغلب الروايات الإسرائيلية التي دُست في كتب التفسير، أو في كتب التاريخ تدور حول بدء الخليقة، وقصص الأنبياء، وأحداث الأمم الغابرة والمبالغة في ذلك، ولا تمثل العقائد فيها جانبا كبيرا يمكن أن نعمم به الحكم على كل ما نقل إلى كتب التفسير أنه يمثل عقائد الإسلام(٢٤).

٣- إن مسألة التمييز بين العقيدة الإسلامية الصحيحة وغيرها من العقائد الباطلة. التي حاول أصحابها أن يكسوها بصورة إسلامية حتى يتقبلها المسلمون كالجبرية والمعطلة والجهمية وغيرهم - كانت شغل علماء المسلمين الشاغل منذ عصور الإسلام الأولى، فنقدوها وبينوا ما فيها من مخالفة لعقيدة الإسلام الصحيحة فما بالنا بالعقائد الأخرى التي تتنافي مع عقيدة الإسلام كلية كاليهودية والنصرانية وغيرهما؟! وإنَّ نظرة واحدة فيما كتبه علماؤها عن الملل والنحل والعقائد الباطلة لتبين إلى أي مدى كان اهتمامهم في هذا المضمار(٢٥).

يقول الأستاذ أمين الخولي: " وكان اليهود في ماضيهم الطويل قد شرقوا راحلين من مصر ومعهم آثار حياتهم فيما معهم، ثم أبعدوا مشرقين إلى بابل في أسرهم.. وقد حملوا من أقصى المشرق في بابل وأقصى المغرب في مصر ما حملوا، وجاء البيئة الغربية الاسلامية من كل هذا المزيج ما جاء، إلى جانب ما بعث إليها الديانات الأخرى التي دخلت تلك الجزيرة، وألقت إلى أهلها ما ألقت من خبر أو قصص ديني، وكل أولئك قد تردد على آذان قارئي القرآن، ومتفهميه، قبلما خرجوا إلى ما حول جزيرتهم شرقا وغربا فاتحين، ثم ملا آذانهم حين خالطوا أصحاب تلك البلاد التي نزلوها وعاشوا بها، وإن كان الذي اشتهر من ذلك هو اليهودي، لكثرة أهله، وظهور أمرهم فدعت تلك التزيدات التي اتصلت بمرويات التفسير النقلي باسم الاسرائيليات"(٢٦).

ويجدر التنبيه على أنه: لا يشترط في الإسرائيليات أن تكون كلها يهودية الأصل أو مسيحية الأصل، بل من الممكن أن يلحق بها ما هو عربي أيضا، مثل: حال بعض القصاصين الذين تأثروا بطريقة أهل الكتاب فرووا قصصا ليس مصدرها أهل الكتاب، لكن لا تخرج بمعانيها من مادة الإسرائيليات، بل ربما وضعوا بعضها وضعا.

ومن ثم؛ فإن النهج الذي سأسير عليه في بحثي هذا هو أخذ هذا اللفظ بمفهومه الواسع، بحيث يشمل كل دخيل على التفسير، وبخاصة ما فيه مبالغة ودَسٌّ وتكذب وتخويف ولو كان مرويا عن غير إسرائيليين، أو متعلقا بقصص غير إسرائيلي، لأنني لاحظت أن كثيرا من كتب التفسير بالمأثور تورد بيانات مسهبة حول القصص والشخصيات والأعلام والأحداث القرآنية معزوة إلى بعض أصحاب رسول الله ﷺ وتابعهم من غير مسلمي أهل الكتاب، وفيها كثير من الإغراب والخيال والمبالغة!!

المطلب الأول: آثار الإسرائيليات في كتب التفسير.

لا شك أن لرواية الإسرائيليات أثراً سيئا على الإسلام وعقائد المسلمين، فمن ذلك:

١- أنها فتحت لأعداء الله من المبشرين والمستشرقين منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الشريعة الغراء، وفي الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ حيث اتخذوا من هذه الإسرائيليات الباطلة المبثوثة في كتب التفسير - وفي غيرها من الكتب - دعامة من دعائم منهجهم في البحث لتشويه سمعة الإسلام عن قصد، ووسمه - وهو دين الحق والعقل والفطرة - بالجهل والخرافات؛ حتى يجعلوا منها حجابا بين الإسلام ومن يريد أن يعتنقه، وحتى ينفروا أبناءه منه(٢٧).

٢- أن كثيرين من المفسرين ممن ليسوا من أهل الصنعة الحديثية والمتفرغين لها؛ لم يتنبهوا إلى هذه الإسرائيليات واغتروا بها، وأوردوها في احتجاجاتهم ومناظراتهم، وتآليفهم دون تنبيه عليها!

وهذا أمر بالغ الخطورة على الدين وأهله؛ لأن جمهور الناس وعامتهم تقبلوا هذه الإسرائيليات على أنها صحيحة لا غبار عليها، وأذاعوها بين الناس، مع أن بعضها مدسوس على الإسلام مشوِّه له!! (٢٨)

وقد ساعد على ذلك وجودها في كتب مشهورة، مؤلفوها أجلاء، كما ساعد على انتشارها ضعف دراسة السنة، والجهل بأحوال الرواة، فبقيت راسخة في النفوس[٢٩]، وقد عزَّ على الهداة والمصلحين انتزاع هذه الأباطيل من عقول العامة وأشباههم.

٣- اعتبرت هذه الإسرائيليات عقبات وأشواكا في طريق التقدم الفكري الإسلامي، وتجديد الخطاب الديني؛ لأنها أخذت وقتاً كبيراً من العلماء لنقدها وتمحيصها، والرد عليها، والتنبيه على خطئها، والتحذير من خطرها..إلخ. وكانت لهم في بيان ذلك مؤلفات قيمة، وكان لهم بجوار ذلك مؤلفات أخرى في قواعد القبول والرد للمرويات وقواعد الجرح والتعديل للرواة وغير ذلك مما يرجع إلى علم الحديث دراية.

٤- استهوت بحوث هؤلاء المستشرقين - المبنية على الروايات الباطلة التي رواها المفسرون والإخباريون ومن على شاكلتهم ممن لا يميزون بين الغث والسمين - بعض الكتاب المسلمين المعاصرين الذين لم يتسلحوا بمعرفة حقيقة الدين، وحقيقة هذه الروايات الدخيلة على الإسلام، فساروا على نهجهم في الاستخفاف بالدين، والغض من شأنه.

وقد رددت هذه المفتريات باسم العلم حينا، وحرية البحث حينا آخر!!

٥- مزقت المسلمين شيعا وأحزابا، فقد بث اليهود عقائد مختلفة، ودسُّوا أحاديث موضوعة؛ مما أثار موجة من الجدل العنيف، والتعصب الذميم بين المسلمين[٣٠].

٦- أُلْحقت هذه الإسرائيليات بالتفسير الصحيح لآي الكتاب الكريم زعزعة واضطرابا، وشغلت أذهان المسلمين، بحيث صار جُلُّ أسئلتهم لمن يشتغل بالقرآن من العلماء عنها، وكادت تغطي على ما في القرآن من مبادىء وأحكام ووصايا هي جوهر القرآن، الذي فيه الهدى والذكرى والموعظة.

المطلب الثاني: مسئولية المفسرين عن رواية الإسرائيليات في كتبهم.

اغترَّ كثير من المفسرين بوجود هذه القصص المروية عن أهل الكتاب، والمبثوثة في كتبهم، فنقلوها في تفاسيرهم بكل ما فيها من حق وباطل!!

ورغم تحذير بعض هؤلاء المفسرين من هذه الإسرائيليات، و دنقدهم لبعضها في كتبهم؛ نراهم عند التطبيق قد ساقوا كثيراً منها، وبخاصة عند توضيح جزئيات قصص القرآن، وتعيين مبهماتها، وتفصيل كيفياتها ووقائعها وظروفها.

والحق: أن "هذه الروايات التي امتلأت بها كتب التفسير قد استغرقت حيزاً كبيراً من هذه الكتب، وكادت تشغل المفسرين وتستغرق جُلَّ تفكيرهم"[٣١].

وأعتقد: أن المسؤولية الأولى عن هذه الإسرائيليات التي امتلأت بها كتب التفسير لا تقع على عاتق أهل الكتاب – كما هو قائم في الأذهان – وإنما تقع على عاتق الرواة والمدونين القدماء، سواء في ذلك الذين رووا ودونوا أجوبة أهل الكتاب وشروحهم لأول مرة في كتب لم تصل إلينا، والذين دوَّنوها في الكتب التي وصلت إلينا نقلا عن الكتب المتقدمة. وكلهم مفروض فيهم القدرة على تمييز الغث من السمين، والباطل من الحق، والكذب من الصدق، وعلى إدراك ما في هذه الروايات من غلو ومبالغات، لا يصح كثير منها في عقلٍ أو منطقٍ أو واقعٍ، ولا يؤيدها أثر صحيح.

ولا شك أن هناك مفسرين وقفوا من بعض هذه الروايات موقف المنكر الناقد، غير أن الحق يقتضي أن نقول: إن هذا لم يكن شاملا ولا عاما، وإن الناقدين والمنكرين أنفسهم رووا كثيرا منها في مناسبات كثيرة بدون نقد أو إنكار (كما سيأتي معنا في الفصول التالية بإذن الله تعالى).

وقد اعتذر بعض العلماء عن المفسرين في ملء تفاسيرهم بالإسرائيليات؛ فقد بين الطوفي بأن كثيرا من المفسرين قد دونوا من الإسرائيليات ما يظنون به أن له نفعا لتبين بعض النواحي في إبقاء القرآن الكريم من معارف عصرهم المتوارثة من اليهود

وغيرهم تاركين أمر غربلتها لمن بعدهم من النقاد حرصا على إيصال تلك المعارف إلى من بعدهم لاحتمال أن يكون فيها بعض فائدة في إيضاح ما أجمل من الأنباء في الكتاب الكريم لا لتكون تلك الروايات حقائق في نظر المسلمين يراد اعتقاد صحتها والأخذ بها على علاتها دون تمحيص، فلا تثريب على من دون الإسرائيليات بهذا القصد[٣٢].

وقد ذكر الكوثري في مقالاته أن اعتذار الطوفي عن المفسرين اعتذار وجيه[٣٣].

وقال الشيخ محمد أبو زهو: " وفي تفاسير كبار الأئمة كثير من الإسرائيليات المنسوبة إلى كعب ووهب وغيرهما كما تراه في تفسير ابن جرير وغيره، ولا ينبغي أن يذم هؤلاء الأئمة بذكرها في كتبهم؛ لأنهم رووها على أنها إسرائيليات توزن بميزان الشرع، ولأنهم قد ذكروا أسانيدها إلى قائلها، تاركين تمييز صحيحها من باطلها لمن يأتي بعدهم، كما فعل المحدثون عند تدوين الحديث، ولأنهم بذكر الإسناد قد برئوا من عهدتها، لأن احوال الرجال كانت معروفة لمعاصريهم على خلاف ما نحن عليه اليوم"[٣٤].

ويرى العلامة القاسمي -بعد أن نقل جواز الحكاية عن بني إسرائيل عن ابن كثير والذهبي والسيوطي- بأن الإسرائيليات المتداولة في التفاسير تنقل لا اعتقادا بسلامتها من التحريف المحقق كلا، بل توسعا في باب الأخبار للاستشهاد والاعتبار؛ قياما بالحجة على الخصم من معتقده وناهيك بذلك"[٣٥].

وللشيخ الزرقاني كلام نفيس في هذا المقام قال:" إياك أن تفهم هنا من عبارة ابن خلدون ما يجعلك تخوض مع الخائضين في هؤلاء الأعلام الثلاثة: عبد الله ابن سلام ووهب ابن منبه وكعب الأحبار فقد ضل بعض الأدباء والمؤرخين من كبار الكتاب في هذا العصر حين زعموا ذلك حتى لقد سلكوا عبد الله بن سلام الصحابي الجليل

في سلك واحد مع عبد الله بن سبا اليهودي الخبيث الذي تظاهر بالإسلام ثم كاد له شر الكيد فتشيع لعلي، وزعم أن الله حل فيه، وطعن على عثمان، وأظهر الرفض عند حكم الحكمين بصفين، ودعا الناس إلى ضلاله الأثيم حتى نفي مرارا، والحقيقة أن ثلاثتنا هؤلاء عدول ثقات)[٣٦].

ثم قال -بعد أن نقل أدلة عدالتهم وثقتهم- ولكن يجب أن نفرق في هذا المقام بين ما يصح أن يقال فيهم وما يصح أن ينقل عنهم.

فأما ما يصح أن يقال فيهم فهو الثقة والتقدير على نحو ما المعنا، وأما الذي ينقل عنهم فمنه الصحيح وغير الصحيح، ولكن عدم صحة ما لم يصح لا يعلل باتهامهم وجرحهم، وإنما يعلل بأحد أمرين:

أولهما: رجال السند الذين ينقلون عنهم؛ فقد يكون بينهم متهم في عدالته أو ضبطه، ولهذا يجب النظر في سلسلة الرواة عنهم رجلا رجلا، ولدينا من كتب الجرح والتعديل ما يفي بهذه الغاية.

ثانيهما: أن يكون أولئك الثلاثة قد رووا ما رووه على أنه مما كان في الإسرائيليات فتقبلها الآخرون على أنها من الإسلاميات"[٣٧].

وإذا كان بعض المفسرين الذين وقفوا من رواية الإسرائيليات موقفاً متشدداً (كابن كثير)، فإنه قد استباح لنفسه أن يروي عند تفسيره لبعض الآيات بعض ما يحتمل الصدق والكذب من الإسرائيليات؛ اعتماداً على قول رسول الله ﷺ: "... وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)؛ فإن هذا المسلك لم يلق لدى بعض العلماء قبولا.

فالعلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله يقول – ناقدا لمسلك ابن كثير في روايته لهذا النوع من الإسرائيليات في تفسيره – : " إن إباحة التحدث عن بني إسرائيل شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قوة أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها أو تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر؛ لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام

الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك. وإن رسول الله ﷺ – إذ أذن بالتحدث عنهم – أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم. فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير والبيان؟ اللهم غفرا"[٣٨].

والحق: أن الكلام الذي قاله الشيخ أحمد شاكر منطقي معقول، وأن اعتذار الطوفي وغيره من المفسرين لا يعفيهم أبدا من المسؤولية، ولا يعفي من نقل عنهم جيلا بعد جيل تلك الروايات الغريبة العجيبة التي شغلت الحيز الكبير من كتب التفسير، وأدت إلى تشويش الأذهان؛ فوجود هذه الإسرائيليات في أسفار اليهود وكتبهم لا يسوغ إيرادها في كتب التفسير على علاتها؛ حيث توهم من يقرؤها أنها بيان للقرآن وتوضيح لأهدافه، مع أنها صارفة للذهن عما اقتضت حكمة التنزيل إيراده، وبعضها من عمل القصاص، ووضاع الحديث، وأهل الدس والكيد من اليهود

وقد عاب صاحب (البحر المحيط) على المفسرين الذين يضمنون تفاسيرهم مثل هذه الموضوعات والإسرائيليات فقال: " ... وكذلك ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول، وأحاديث في الفضائل، وحكايات لا تناسب، وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير ".

خاتمة:

في تتمة هذا البحث يمكن القول إن على عاتق علمائنا واجبا كبيرا نحو التفسير بالرواية، ألا وهو نقد هذه المجموعة المركومة من التفسير النقلي متنا وسندا؛ لنستبعد منها كثيرا مما لا يستحق البقاء، وتريح الناظرين في كتاب الله من الاتصال به إذا ما حاولوا تفهم الآية، فلا يقفون عند شيء لا أساس له.

ومن ثم؛ فإن الباحث – مع إقراره بجواز الرواية عنهم بضوابط – إلا أنني أميل إلى عدم استحسان ذكرها في كتب التفسير بإزاء كلام الله تعالى؛ لتفسيره أو لبيان مبهمة، أو لتفصيل مجملة. وعليه؛ أرى ضرورة العمل على تجريد كتب التفسير من تلك الروايات الإسرائيلية أو على الأقل تبيين تلك الروايات وتمييزها.

الهوامش والإحالات (٣٩):

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة – أحمد مختار عبد الحميد عمر – عالم الكتب، بيروت ٢٠٠٨م. (٩١/١).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦٤م. (٧٢/١)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني – مطبعة الحلبي، مصر ١٩٦٣م.

(٣) مسند أحمد (٣١٠/٤)، رقم (٢٥١٣).وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

(٤) من أشهر أسماء بني إسرائيل: العبريون، والإسرائيليون، ويهود، وقد قيل إنهم سموا بالعبرانيين نسبة لابراهيم الذي ذكر في سفر التكوين باسم (إبراهيم العبراني)؛ لأنه عبر نهر الفرات وأنهارا أخرى. ينظر: لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري – دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ. (٤٥٠/٤ – ٤٥٢).

(٥) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (ص٢١).

(٦) زاد المسير في علم التفسير (٧/١)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٨م. (٢٤١/١).

(٧) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م. (٢٣٧٦/٦)، لسان العرب (٢٦/١١)، تاج العروس من جواهر القاموس – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي – دار الهداية، الأردن ٢٠٠١م. (٢٧٥/٣٨)، مادة (سرو).
وينظر ايضا: بنو إسرائيل في القرآن: تاريخ وتحقيق – سيد رزق الطويل – دار المعارف، مصر ١٩٨٠م. (ص١٣).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م. (٧٩/١).
(٩) تفسير القرآن العظيم (٧٩/١).
(١٠) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٣٧٦/٦)، لسان العرب (٣٨٣/١٤)، مادة (سرو).
(١١) ينظر سفر التكوين الفقرة: ٣٢: ٢٦: ٤١.
(١٢) قاموس الكتاب المقدس – ترجمة وتأليف/ جورج بوست – دار الكتاب المقدس، بيروت ٢٠٠٠م. (٢١٥/١) لفظة (اسرائيل).
(١٣) ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي – دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٣م. (٣٥٢/٤).
(١٤) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(١٥) الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي – دار الكتب المصرية، مصر ١٩٦٤م. (٢١٠/١٥).
(١٦) مقدمة في أصول التفسير – أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية – دار القرآن الكريم، الكويت ١٣٩١هـ. (ص١٠٠).
(١٧) ميزان الاعتدال (٣٥٢/٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/١)، الإكسير في قواعد علم التفسير – نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي – مكتبة الآداب، مصر ٢٠٠٧م. (ص٢٥٤)، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (ص١٦٥).
(١٨) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (ص٧٢ – ٧٣).
(١٩) الألوسي مفسرا – محسن عبد الحميد – رسالة ماجستير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٩٦م. (ص٣١٩).
(٢٠) ينظر: أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي – مساعد مسلم عبد الله – مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م. (ص١٢٠).
(٢١) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن – السيد أحمد خليل – الدار الحديثة للنشر، مصر ٢٠٠٣م. (ص٣٧).
(٢٢) التفسير والمفسرون (١٦٥/١).
(٢٣) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية – فان فلوتن – ترجمة د/ حسن إبراهيم وآخرين – مطبعة السعادة، مصر ١٩٩٥م. (ص١٠٩).
(٢٤) الإسرائيليات للدكتور محمد أبو شهبة، (ص٥) بتصرف.

[٢٥] ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري – المطبعة الأدبية، مصر ١٣١٧هـ. (٢/٢١٦).

[٢٦] التفسير: نشأته، تدرجه، تطوره – أمين الخولي – دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢م. (ص٣).

[٢٧] ينظر: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (ص٤٢٨). وينظر أيضا: معاول الهدم والمنكرات – خالد بن علي حاج – دار الراوي، مصر ٢٠٠٠م. (ص٨٥).

[٢٨] ينظر: الدخيل في التفسير: دراسة وتطبيق – مختار مرزوق عبدالرحيم – دار النهضة العربية، مصر ٢٠٠٠م. (١/١٠١).

[٢٩] ينظر: أثر الدخيل في التفسير على التراث العلمي والواقع العملي للأمة الإسلامية – محمد السيد محمد يوسف – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدمون، الشرقية، مجلة علمية محكمة ٢٠٠٣م. (ص٦٢).

[٣٠] كان لليهود أثر غير قليل في بعض المذاهب الإسلامية، فمثلا: فكرة القدر، والجبر والاختيار التي كانت مدار جدال حاد، وفشت في الأوساط الإسلامية فشو المرض المعدي؛ كان أصلها أهل الكتاب!!

وقد قيل: إن أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهني، وغيلان الدمشقي.

ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي– دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م. (٦/١٩٩).

وكان البطريق يوحنا الدمشقي يحمل لواء خصومة المسلمين، وبث السموم بينهم، وقد عاش وأبوه في قصر عبد الملك بن مروان، وألف كتابا للنصارى يدفع فيه دعوة المسلمين لدينهم.

ينظر: المرجع السابق (٢٥/١٢٨).

[٣١] ينظر: الدخيل في التفسير: دراسة وتطبيق (١/١٠٢).

[٣٢] الاكسير في قواعد التفسير – نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي – دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠م. (ص٥٤). وينظر: القرآن والتفسير (ص٢٧٣–٢٧٤).

[٣٣] ينظر: مقالات الكوثري (ص٣٤).

[٣٤] الحديث والمحدثون (ص١٩١).

[٣٥] ينظر: محاسن التأويل (١/٣٥)

[٣٦] مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزُّرْقاني – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت. (٢/٢٦).

[٣٧] المرجع السابق (٢/٢٧).

(٣٨) ينظر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (ص١٤، ١٥).

(٣٩) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي – مساعد مسلم عبد الله – مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.

أثر الدخيل في التفسير على التراث العلمي والواقع العملي للأمة الإسلامية – محمد السيد محمد يوسف – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدمون، الشرقية، مجلة علمية محكمة ٢٠٠٣م.

الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير – محمد رمزي نعناعة – دار القلم، دمشق ١٩٧٠م

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير – محمد أبو شهبة – مكتبة السنة، مصر ١٤٠٨هـ.

الاكسير في قواعد التفسير – نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي – دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠م.

الإكسير في قواعد علم التفسير – نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي – مكتبة الآداب، مصر ٢٠٠٧م.

الألوسي مفسرا – محسن عبد الحميد – رسالة ماجستير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٩٦م.

بنو إسرائيل في القرآن: تاريخ وتحقيق – سيد رزق الطويل – دار المعارف، مصر١٩٨٠م.

تاج العروس من جواهر القاموس – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي – دار الهداية، الأردن ٢٠٠١م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي– دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م.

تاريخ الثقات – أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى – دار الباز، السعودية ١٩٨٤م.

تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

التفسير والمفسرون – محمد حسين الذهبي – دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٧٦م.

التفسير: نشأته، تدرجه، تطوره – أمين الخولي – دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢م.

الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي – دار الكتب المصرية، مصر ١٩٦٤م.

الدخيل في التفسير: دراسة وتطبيق – مختار مرزوق عبد الرحيم – دار النهضة العربية، مصر ٢٠٠٠م.

روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٨م.
زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦٤م.
السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية – فان فلوتن – ترجمة د/ حسن إبراهيم وآخرين – مطبعة السعادة، مصر ١٩٩٥م.
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م.
الطبقات الكبرى – أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني – مطبعة الحلبي، مصر ١٩٦٣م.
الفصل في الملل والأهواء والنحل – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري – المطبعة الأدبية، مصر ١٣١٧هـ.
قاموس الكتاب المقدس – ترجمة وتأليف/ جورج بوست – دار الكتاب المقدس، بيروت ٢٠٠٠م.
لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري – دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ.

معاول الهدم والمنكرات – خالد بن علي حاج – دار الراوي، مصر ٢٠٠٠م.
معجم اللغة العربية المعاصرة – أحمد مختار عبد الحميد عمر – عالم الكتب، بيروت ٢٠٠٨م.
مقدمة في أصول التفسير – أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية – دار القرآن الكريم، الكويت ١٣٩١هـ.
مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزُّرْقاني – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي – دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٣م.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٣٨٢هـ).
نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن – السيد أحمد خليل – الدار الحديثة للنشر، مصر ٢٠٠٣م.